

العلاقات الفيزيائية بين المكان والزمان في شعر أدونيس

خديجة هاشمي* وحامد صدقي** وصغرى فلاحتي*** وزهرة ناعمي****

الملخص

يعتمد الشعراء في نصوصهم الشعرية على المكان والزمان وما يتعلق بهما من علاقات فيزيائية، فالأحداث تقع في الزمن والمكان في بنية حركية أو سكونية. العلاقات الفيزيائية بين المكان والزمان في شعر أدونيس أسهمت بشكل فاعل في التعبير عن أحاسيس الشاعر النابعة من موقفه الثوري والعلاقات هذه تحمل أسساً جمالية ذات أبعاد ودلالات نفسية ورمزية حيال حوادث عصره وموطنه.

تحاول هذه المقالة أن تقوم بدراسة كيفية حضور العلاقات الفيزيائية بين المكان والزمان ودلالاتها في البناء الشعري عند أدونيس على أساس المنهج النفسي، حيث تحاول أن تربط أبعاد دلالاتها بعواطف الشاعر ومشاعره، كما سنتبع في هذه الدراسة، المنهج الوصفي التحليلي - الإحصائي بالإضافة الاستشهاد بنماذج شعرية دالة على استعمال هذه الظاهرة ودلالاتها في الصور الشعرية عند أدونيس.

أهم ما يلفت الانتباه في صورته الشعرية الفيزيائية أنّ الشاعر يرغب كثيراً ما إلى استعمال الحركة الزمكانية في نصّه الشعري؛ إذ تتفق ديناميكية المكان والزمان مع رؤيته الثورية في التغيير والطموح إلى تحقيق أحلامه في بناء مستقبل زاهر وعالم جديد. ويفصح الشاعر عن اتجاهه الوثني من خلال توظيف صور الحركة الزمكانية كما يتّضح من وراء صور الحركة الزمانية والمكانية رأيه حول الشعر؛ إذ يعتقد أنّ الشعر ديناميكية وبثّ الحركة ورفض السكون فيلجأ الشاعر إلى صور الحركة المكانية والسكون الزماني في تصوير فقدان الحب، كما اعتمد على توظيف صور الجمود الزماني والمكاني، لتحريض الموقف الثوري والجمال الحيوي والتجدد على نحو أعمق وأكثر حرارة وفاعلية ويستعرض الشاعر في توظيف الحركة الزمانية والسكون المكاني إدراك عبثية الوجود وتحطيم الزمان النجمي والغلبة على سطوة الزمن الموضوعي في جمود الفضاء.

كلمات مفتاحية: الشعر العربي الحديث، الفيزياء، المكان، الزمان، أدونيس.

*-طالبة الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الخوارزمي، إيران. (الكاتبة المسؤولة) khadijehashemi1365@gmail.com

** - أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الخوارزمي، طهران، إيران.

*** - أستاذة مشاركة في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الخوارزمي، طهران، إيران.

**** - أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الخوارزمي، طهران، إيران.

المقدمة

يلعب المكان دوراً فاعلاً في النصّ الشعري لما له من دلالات اجتماعية وسياسية ويكشف عن المشاعر النفسية التي تجول في ذات الشاعر، فيعدّ المكان من أبرز عناصر التشكيل الجمالي لإغناء الصّور الشعرية في النصّ الأدبي، كما يُعتبر عنصر الزمن من أهمّ العناصر في بناء النصّ الأدبي والزمن في التجربة الأدبية نوعان: الموضوعي والذي تقدّم الأحداث فيه بصورة خطية نُجومية من الماضي إلى الحاضر ثمّ المستقبل كما يتناول النصّ الأدبي الزمن النفسي الذي يُعني بالإدراك النفسي ويرتبط بالحالات الشعورية والنفسية عند الشاعر.

تبدو العلاقات بين المكان والزمان من جهة الحركة والسكون في النصّ الشعري عند أدونيس ونسّمى هذه العلاقات، العلاقات الفيزيائية؛ إذ تبحث حركة المكان في علم الفيزياء كما يرسم الشاعر انتقال الزمان الموضوعي من الماضي إلى الحاضر والمستقبل وهذا التّصور الزّمني ينبعث عن مفهوم حركة الزمن الموضوعي التي يُعني بها علم الفيزياء.

ما يعيننا في هذا البحث هو الحركة والسكون في المكان والزمان في الشعر؛ والحركة عند الفيزيائيين تعني الانتقال من موضع إلى موضع والبحث عن الحركة الزمانية في هذه الدراسة هو التراوح بين الوحدات الزمانية الموضوعية: الماضي، والحاضر، والمستقبل. هذا وقد اهتم أدونيس في العديد من أشعاره بظاهرة العلاقة الفيزيائية بين المكان والزمان اهتماماً بالغاً، ولذلك فإنّ دراسة "العلاقة الفيزيائية بين المكان والزمان في شعر أدونيس" ضرورة جدّاً. تحاول هذه الدراسة أن تجيب عن سؤالين مهمين:

١. ما هي العلاقات الفيزيائية بين المكان والزمان في شعر أدونيس؟

٢. أية علاقات فيزيائية بين المكان والزمان قد سادت في شعر أدونيس ولماذا؟

في الردّ على هذين السؤالين، يمكن أن يقال:

١. يبدو أنّ الشاعر يأتي بتقنية العلاقات الفيزيائية بين المكان والزمان في صيغ متنوّعة ومنها: حركة

المكان والزمان، حركة المكان وسكون الزمان، سكون المكان والزمان، سكون المكان وحركة الزمان

٢. يمكن سيادة حركة المكان والزمان في شعر أدونيس؛ إذ تتلاءم هذه الحركة مع مشاعره وتفكيره في

كسر رتابة الجمود والموت الذي يعمّ كلّ شيء في مجتمعه.

تَهتم هذه المقالة بدراسة "العلاقات الفيزيائية بين المكان والزمان في شعر أدونيس"، لذلك تمّ استخراج القصائد التي ترتبط بهذه الظاهرة "العلاقات الفيزيائية بين المكان والزمان" من ديوان الشاعر بعد التطرق إلى "مفهوم المكان والزمن والحركة والعلاقات الفيزيائية" في التمهيد، وذلك اعتماداً على المنهج النفسي حين تبحث عن مشاعره النفسيّة تجاه حوادث عصره ومجتمعه أو الحالة الشعوريّة المسيطرة على ذات الشاعر، مستخدمة المنهج الوصفي التحليلي - الإحصائي في تبين كيفية تجلّي العلاقات الفيزيائية بين المكان والزمان ودلالاتها في شعره.

هناك دراسات ظهرت في السنوات الأخيرة في مجال دراسة المكان والزمان، منها:

١. مقالة دراسة دور الأمكنة في الديكور الشعري لمظفر النواب، محمد مهدي روشن، مجلة إضاءات نقدية، السنة السابعة، العدد ١٥، ربيع ١٣٩٦ش، وتدور هذه الدراسة حول الأبعاد الدلالية في توظيف المكان في شعر مظفر النواب ومنها؛ البعد السياسي، والنفسي، والوطني، الديني، الاجتماعي وغيره.
٢. مقالة التقاطب المكاني في قصائد محمود درويش الحديثة، رقية رستم بور ملكي وفاطمة شيرزاده، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد التاسع، ربيع ١٣٩١هـ.ش، تقوم هذه المقالة بدراسة تقاطبات الأمكنة ومنها؛ الوطن/المنفى، هنا/هناك، العربي/الغربي، الانقطاع/الاتصال.
٣. كتاب "تجاهات الشعر العربي المعاصر" يقوم الباحث فيه بدراسة موقف الشعراء المعاصرين من الزمن، ويتطرق إلى الزمن في شعر أدونيس بشكل عابر، ويبيّن أنّ الشاعر كثيراً ما يلجأ إلى الزمن النفسي في تبين تجاربه الباطنية وآماله والزمن عنده يستسلم للإرادة الإنسانية ويستعمل الشاعر أحيانا الزمن الموضوعي في مشاهدته الشعرية.
٤. مقالة "الفضاء الزمكاني في القرية عند الشعراء الرواد"، أمل عبد الجبار كريم الشرع وايناس كاظم شنباره، مجلة جامعة بابل، العلوم الانسانية، المجلد ٢٢، العدد ٦، ٢٠١٤، تبحث هذه المقالة عن تجرّبة المكان والزمان عند الشعراء الرواد؛ نازك الملائكة، البياتي، بدر شاعر السياب.
٥. مقالة الزمن النفسي في مقدمات المعلقات العشر، أمل حسن طاهر، مجلة الآداب، العدد ١١٠، ٢٠١٤م، يحاول الباحث في هذه المقالة أن يدرس كيفية تعامل الشاعر مع الزمن الطبيعي وفقاً لما يجري في ذاته من أحاسيس الفرح والحزن والحب والألم والحرم.

٦. مقالة مفهوم زمان در شعر شاملو و أدونيس، زليخا حاجي پور وآخرون، مجله شعر پژوهي (بوستان ادب)، دانشگاه شيراز. سال ٦. العدد ١، ١٣٩٣ هـ.ش، قد حفلت هذه الدراسة بالبحث عن مفهوم الزمان في شعر أدونيس وشاملو بشكل مقارن، وتبيّن أن الشاعر لا يقف عند ثغور الزمان الموضوعي، بل يتجاوز ويتمرّد عليه عبر رحلاته في الماضي وذكرياته وخلق الأسطورة واللجوء إلى الحب في الزمن النفسي ولا تبحث هذه الدراسة عن الزمن الموضوعي.

يتضح من عناوين هذه الدراسات وموضوعاتها، أنّ كلاً منها لا تقوم بالتفحص عن الزمان والمكان في شعر أدونيس بصورة متمركزة، كما يبين أنّ العلاقات الفيزيائية بين المكان والزمان لم تُدرس في شعر أيّ شاعر، لذا تُعتبر هذه الدراسة التي تهدف إلى كشف العلاقات الفيزيائية بين المكان والزمان ودلالاتها في أشعار أدونيس محاولة جديدة في دراسة المكان والزمان.

المكان والزمان في العمل الأدبي

يعدّ المكان ظاهرة متميّزة في الشعر العربي الحديث والمعاصر، ويلعب دوراً بارزاً في التشكيل الجمالي للنصوص الأدبية^١، كما يشغل الزمن مساحة واسعة في العمل الأدبي؛ لأنّ الزمان يعدّ «من العناصر المهمة في صياغة الأحداث وبنيتها وتناميها، فكلّ شيء في هذا الكون قائم على الزمن ومرتبّط به، وكلّ إنسان يحس به ويشعر مما جعل ذلك يؤثر سلباً أو إيجاباً في نتاج الأديب أو الشاعر، وقد يبيّن في كثير من الأحيان إحساس الشاعر وحالته النفسية والشعورية في لحظة ما»^٢ والزمن نوعان: نفسي ويخضع لحركة النفس ومجرى الأحداث^٣ وخارجي أو موضوعي يكون له أبعاده الموضوعية الممكنة القياس ويعني به الفيزياء.^٤

العلاقات الفيزيائية بين المكان والزمان

علاقة المكان بالزمن تؤدي دوراً بارزاً في البناء الشعري، إذ «ترتبط ملامح المكان وعناصره المختلفة بطابع الزمن وتحولاته وأحداثه الطبيعية والتاريخية والسياسية؛ لأنّ تأثيرات تلك الأحداث والتحولات

١- طالي قره قشلاقي، تجليات المكان، أبعاده ودلالاته في شعر "نزار قباني"، ص ٤٢٢.

٢- طاهر، الزمن النفسي في مقدمات المعلقات العشر، ص ٥٢٩.

٣- المصدر نفسه، ص ٥٣٠.

٤- صدام ومعتر، مستويات بناء الزمن في شعر بشار بن برد، ص ٢٦٧.

الزمانية تسهم بشكل كبير في إعادة ترتيب هيئة المكان وتلويينه، في ضوء العلاقة المتشابكة بين الإنسان والزمان والمكان^١ فتكون العلاقات بين الزمان والمكان متلازمة والعلاقة الفيزيائية تعدّ نوع من هذه العلاقات التي تكون بينهما من جهة الحركة والسكون؛ والحركة عند الفيزيائيين تعني تغيير الشيء من موضع إلى موضع إلى آخر^٢ كما تقوم هذه الدراسة بتحليل الحركة في الزمن الموضوعي وهو الزمن الذي يهتم به في علم الفيزياء ويمكن تقسيم هذا الزمن على الماضي والحاضر والمستقبل^٣.

المكان والزمان في شعر أدونيس

١. حركة الزمان والمكان

الحركة في المكان هي الانتقال من موضع إلى موضع أي الابتعاد من مكان للاقتراب من مكان آخر، وكل حركة في المكان تتناول الحركة في الزمان؛ إذ نرى الشخص الذي ينتقل من مكان إلى مكان، لا بد له في انتقاله هذا، من استغراق زمن معين ومن ثم، سير الزمن من لحظة إلى لحظة أخرى. ويتمّ تحديد حركة الزمن عبر التراوح في فترات زمينة معينة بدءاً من الماضي مروراً بالحاضر والاستشراف الآتي. وحركة الزمان والمكان تعدّ نوعاً من العلاقات الفيزيائية التي شكّلت مساحة واسعة من أشعار أدونيس؛ ويمنح نصه الشعري إجماعاً متنوعاً للتخلّص من الجمود؛ في قصيدة "تنبأ أيها الأعمى" ينشد:

وَمَا هُوَ الْوَقْتُ / تَجُرُّهُ أُمُّهُ الشَّمْسُ، وَحَوْهَا سَلْسِلُ / وَدَوَالِبُ تَحْرُثُ الْأَرْضَ / وَالْقَضَاءُ قَنْدِيلٌ مُطْفَأٌ؛

يقدم الشاعر نصّه الشعري من خلال الوقفة الوصفية التي عكست الحركة النجومية للزمان على أساس الحركة الوضعية للأرض والشاعر يريد من خلاله الإفصاح بقوة عما يكابده من ألم وتوجع جزاء مضى الزمان والنظر إلى الحياة ببصيرة أعمق للحياة؛ فأدرك الشاعر عبثية الوجود ومحدودية الزمن النجمي وفقدان كل شيء. ويقول الشاعر في مكان آخر:

١ - صلاح، دلالة المكان في الشعر البيهني المعاصر من منظور القراءة والتأويل، ص ٢٠٥.

٢ - رزنيك وآخرون، فيزيك، ص ١٧.

٣ - جندارى، الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا، ص ٤٥.

٤ - أدونيس، الأعمال الشعرية، مج ٦، ص ١٠.

الوداعِ لأهلِ السَّمَاءِ، لِلشَّمْسِ تَصْنَعُ مِنْ / تَخْلُجُهُمْ حَيَاماً لِأَحْبَائِهَا / الوداعِ لأقمارِ تِلْكَ الحَيَامِ،
لِعُشَّاقِهَا / ولِنَاقَاتِهِمْ / إِنَّهُ الوَقْتُ كِي يَخْرُجُ الوَقْتُ مِنْ قَيْدِهِ / إِنَّهُ الوَقْتُ كِي يَنْزِلُ الكَوْنُ ضَيْفاً عَلَيْنَا /
وَيَفِيءُ لِأَحْلَامِنَا وَأَسْرَارِنَا^١

قد كتني الشاعر بالتجول الزمني والمكاني عن تغيير المكان وتحول التاريخ إلى آفاق أبعد وأوسع، فيريد ابداع التاريخ وتجديده؛ وينهض الشاعر ليخلص الإنسان من معاناته وعذابات، إذ عاش موطنه في هذه الحقة قلق الحرب؛ فيلج الشاعر لانعتاق موطنه وتاريخه من القيود ويعيد إليه حرته لبناء قيم رؤيوية جديدة، بحيث تُظهر حركة الأفعال (يخرج، ينزل) وما توحي من دلالات خلاص وحرية، أمل الشاعر من أجل التحرر من قيود الواقع الذي يحد من حرته.

في قصيدة "الموت" يعالج الشاعر فلسفة الحياة والموت؛

لَمْ يَفْنِ بِالنَّارِ وَلَكِنَّهُ / عَادَ بِهَا لِلْمَنْشَأِ الأَوَّلِ / لِلزَّمَنِ المُقْبِلِ / كَالشَّمْسِ فِي حُطُورِهَا الأَوَّلِ / تَأْفَلُ عَنْ
أَجْفَانِنَا / وَهِيَ وَرَاءَ الشَّمْسِ لَمْ تَأْفَلُ^٢

تكتسب مفرداته الشعرية رؤية متميزة وإيقاعاً دائرياً متموجاً؛ فالنار في النص المذكور مستلهماً من قصة إبراهيم الخليل رمز للحياة نقيضاً لمفهومه الأصلي، الموت؛ فالشاعر ينطلق نحو الموت الذي يمنح الحياة؛ والزمن يعود إلى الأول ويتجه نحو المستقبل؛ فيعتقد الشاعر هنا بأن «الموت لا يعنى النهاية، بل هو بداية للمستقبل»^٣، وقد أسهم التعبير "عاد بها للمنشأ الأول" في منح اللوحة الحركة المكانية، فيتجاوز الشاعر الموت؛ لأن إيمانه بالإنسان أقوى حتى وإن كان يصيب الموت؛ فيدور الزمن ولا يتوقف عن الحركة ويقترن الموت مع الحياة في دورة الطبيعة بحيث تبدو دورته في حالة دينامية دائماً وتوحي بولادة دائمة حتى في الموت.

١ - أدونيس، الكتاب I، ص ٧٥.

٢ - أدونيس، الأعمال الشعرية، مج ١، ص ٤٠.

٣ - بجايوي، شعر أدونيس "البنية والدلالة"، ص ١٦٠.

٤ - المصدر نفسه، ص ١٥٩.

وفي قصيدة "أحلم وأطيع آية الشمس"، يستعين الشاعر في تبين أفكاره بالأسطورة "إيزيس" وهي «الإلهة الأم العظيمة في الديانات المصرية القديمة ومن أشهر الآلهات المصريات وكان لها باع كبير في السحر»^١.

أترك لإيزيس أن تفتح قميصك أيها الوقت / أترك لأصابعها أن ترتق هواءك الذي تنفتق أطرافه،
وأدخلني في طفوسك / نحن شبيهان في الإثم / الشهوة محيطة والجسد أكثر مما يطيق الكلام / وما هو
الفضاء سحر أبيض^٢

يقرن الشاعر الوقت مع أسطورة إيزيس، ربة الخصب، ليرمز بالتحول الزمني إلى التحدد والحياة ودوامها في كل الأزمنة، إذ يرى المصريون أن إيزيس «أبو الماضي والحاضر والمستقبل»^٣ ويعيد الشاعر في توظيف أسطورة إيزيس، مرة أخرى إلى سطح الأرض بتكريم الجسد والأنوثة، وتكون عودته البداية الرئيسة للهبوط الرؤيائي إلى أعماق العالم الشهواني، فضلا عن كونه، يمثل هبوطه إلى الأرض إمكانية التعالي في أقاليم العالم الروحاني والسماوي؛ إذ يقر بأن السماء في هبوط الشاعر إلى الأرض تصوير سحراً أبيض، فالشاعر في سيره وصورته في العالم الأدنى والأسفل يجعل الأرض أكثر اقتراباً من السماء؛ ويتجلى تشابه الشاعر وإيزيس في صفة الإثم لتجاوزهما الشهوات الجنسية وما تتطلبه الغرائز.

والشاعر يفصح عن اتجاهه الوثني في نصّه الشعري في قطعة شعرية "تاريخ يتمزق في جسد المرأة" من خلال توظيف حركة المكان والزمان؛
آه ما أجمل الحياة وسُحراً لجنتها المرجأة^٤

انعكس في النص هذا، حنين الشاعر وشوقه إلى الحياة في العالم المادي، بالإضافة إلى انزجاره من الحياة الآخروية، فصار يصدر المقطع المذكور عن رؤية وثنية وشاملة للشاعر. فهو يركّز، من وراء الحركة المكانية في التعبير "سُحراً لجنتها المرجأة"، على العالم المادي بدلا من التركيز على عالم الآخرة؛ كما أنّ

١ - أبو علي، الرمز والأسطورة في شعر أدونيس، ص ٢٠٨.

- أدونيس، الأعمال الشعرية، مج ٤، ص ٢٤٢. ٢

٣ - أبو علي، الرمز والأسطورة في شعر أدونيس، ص ٢٠٧.

- أدونيس، الأعمال الشعرية، مج ٦، ص ٥٠٥. ٤

هذا التعبير "سُحِقًا لِحَيَاتِهَا المَرْحَاة" يبيّن حركة الزمان؛ إذ يذعن الشاعر بنفوره من الحنة في المستقبل وما يرغب إليه أدونيس هو «أن تكون الأرض موطن غناء وجنس وخمرة، وليس مكانا للصلاة والعبادة»^١؛ لأنه يعتقد أن المؤمن يفقد الحياة أملاً بالجنة في الحياة الآخرة، فالمستقبل يظل على حياة المؤمن في الحاضر وبيدها.

الشاعر إنما يريد الهروب عن الزمان الماضي والراهن حتى ولو بصورة خيالية؛

لَسْتُ مِنْ هُنَا أَوْ هُنَاكَ / مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ الْمُنْطَفِئِ / قَدَمَائِ تَجِيئَانِ مِنْ طُرُقٍ / لَمْ تَجِيْ / أَتَقَدَّمُ فِي ظُلُمَاتِ الْمَكَانِ / تُرْجَمَانًا وَضَوْءًا لِهَذَا الزَّمَانِ^٢

بهذا الهروب يتحوّل المكان إلى رمز للمستقبل الذي يختفي وراء التعبير "قَدَمَائِ تَجِيئَانِ مِنْ طُرُقٍ / لَمْ تَجِيْ"، متطلّعا إلى تغيير العالم، وتجاوز الواقع وعزل الماضي من أجل حالة الركود والجمود التي يعيش فيها "مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ الْمُنْطَفِئِ" وموت الراهن الذي لم يعد ملائما للحياة، ومنح ولادة جديدة في سياق الحركة المكانية والزمانية والتي تستجيب لنوع خاص من الجدل بين فضاء الذاكرة البالية وفضاء الحلم المستقبلي. فتعمل آليات الحلم على فتح عين الشاعر في آفاق استشرافية، قادرة على اختراق حاجز الزمان والمكان والنفوذ إلى عمق الجهول، انتقالاً من الرؤية في حدودها الممكنة في الحاضر إلى الرؤيا في حدودها اللامتناهية في المستقبل. يهدف الشاعر أحيانا حلّ لغز التصورات الدينية في العلاقة بين العالم الأعلى والأدنى؛

هُوَ ذَا أَعَانِقُ حَيْرِي / وَأَزَى إِلَى زَمَنِي يَدُورُ كَأَنَّهُ / كَرَّةٌ مِنَ الْوَرَقِ الْعَمَاءِ / يَجْرُهَا حَبْرٌ عَمَاءٍ / الْأَرْضُ وَارِئَةُ السَّمَاءِ؟ خُرَافَةٌ / مَا أَفْقَرُ الْأَرْضَ الَّتِي تَرِثُ السَّمَاءَ^٣

في النص المذكور تبرز الأرض بالسماء في سياق حركي؛ فيعلن الشاعر، أنّ الأرض ضحية الممارسات الدينية السائدة في عصره، ذاكراً حركة الزمن التي تتحوّل في الكون الشعري عند الشاعر إلى كرة من الورق العماء والذي يرسم الطبيعة الأرضية مقترنة بالظروف المأساوية والعشوائية المهيمنة عليها،

٢- نعم طنوس، السؤال الديني في شعر أدونيس، ص ١٧٦.

- أدونيس، الكتاب I، ص ١٠١.

- أدونيس، الكتاب III، ص ٢٨١.

رافضا على نحو عميق ومؤثر سلطة العالم السماوي الغيبي. حرص الشاعر أن تكون علاقته بالتحرك والتغيير علاقة مميزة؛

وَأَنَا الْوَقْتُ - انْتَبَظْتُ الشَّمْسَ فِي مُخْدَعٍ / جَوَابٍ، أَنَا الصَّارُوخُ: هَذَا الْكَوْزُ مَوْجٌ / وَأَنَا الْمُبْجَرُ،
وَاللُّجُّ الَّذِي أَفْتَحُهُمُ الْآنَ / وَأَسْتَرْسِلُ فِي أَحْشَائِهِ / السَّكْرَى، رَهَانٌ^١

إن الحركة هي التي تعطي التشابه بين الشاعر والوقت والمهم عند الشاعر هو تحوّل هذا الكون العظيم إلى تيار شعري مفعم بالحياة والديناميكية ويجعل نفسه في مركز هذه الحركة، إذ «إن الذات هي مركز الوجود عند الفنان، ومنها ينطلق، ويبحث عن صداها وماهيتها في نفسه والآخريين»^٢، فيختار الشاعر التوحد بين نفسه والمبحر والصاروخ واللج؛ فإن الشاعر يتحرك في أفق السيورة ورفض السكون حتى يشجع كل الطبيعة وما فيها بالصيرورة والتحول، حيث يكون من الممكن التحوّل والتجدّد في الحدود اللامتناهية في العالم والكشف في عالم المجهولات، حتى يقدر الشاعر على التنبؤ بما سيأتي في المستقبل؛ فيرفض الشاعر الواقع الذي يعيشه ويبيّن إيمانه بالإنسان وقدرته على صنع المستقبل.

ويخرج الشاعر من فضاء ضيق إلى إطار متسع وأرحب حينما يتحدّث عن الحب؛ إذ يرى أن الحب كطائر؛

حُبٌّ / طَائِرٌ يَفِرُّ مِنْ يَدِ الْيَوْمِ^٣

الحب يفلت الذات، ويجرّها من قيود الرؤية الجامدة والمحدّدة للعالم بوصفه رمزاً لمكانية الخلق والتجدّد، أو الولادة الدائمة والمستمرة من وراء الحركة الزمانية والمكانية في تعبيره " طائرٌ يفرُّ من يدِ اليوم".

٢. سكون الزمان وحركة المكان

قد ينتاب الشاعر شعور بتباطؤ حركة الزمن الموضوعي انطلاقاً من تجربته النفسية؛ إذ فرض الزمن ثقله عليه، كأنّ الزمن قد توقّف عن الحركة عند الشاعر رغم الحركة التي يتعرّض لها المكان، و«أما سكون الزمن

١- أدونيس، الكتاب I، ص ١١١.

٢- هشام محمد، التجربة الشعرية العربية دراسة استمولوجية للسيرة الذاتية لشعراء الحديثة، ص ١٠٨.

٣- أدونيس، فهرس الأعمال الريح، ص ١٩٧.

فلا نعي به سوى جمود لحظاته في مخيلة النص الشعري^١. في النص التالي من قصيدة "مرثية الحلاج" نرى نفور الشاعر من عدم التغيير والتحول في الزمان؛

الرَّمْزُ اسْتَلْقَى عَلَى يَدَيْكَ / والنَّازُ فِي عَيْنَيْكَ / مُجْتَاحَةً تَمْتَدُّ لِلسَّمَاءِ / يَا كَوْكَباً يَطْلُعُ مِنْ بَغْدَادِ /
مُحَمَّلًا بِالشَّعْرِ والمِيْلَادِ / يَا رِيْشَةً مَسْمُومَةً خَضْرَاءَ^٢

ربّما يعود التجمّد الزمني لحجم المأساة وثقل الوضع القائم آنذاك، فكأنّ النار في ثورتها مع الزمان في التعبير "والنَّازُ فِي عَيْنَيْكَ / مُجْتَاحَةً تَمْتَدُّ لِلسَّمَاءِ"، في حركة مكانية تصعيدية تتمرّد على آية سلطة تهدّد وجودها، إذ تبدو رغبة الشاعر في ديمومة الحياة والانبعث في صورة النار عند توصيف موت الحلاج، إلى جانب هذا يكشف الشاعر عن إحساسه بمدى فاعلية المكان وبيان المنزلة الرفيعة للسماء في شمول وايصال رسالته الثورية؛ «الحلاج النائر المجد في كل الأزمنة يحضر من هذا العصر مخترقاً حاجز الزمان ليشعل الثورة وينتصف للمظلومين»^٣. تلعب أسطورة سيزيف دوراً هاماً في تبين الصور الشعرية عند أدونيس في قصيدة "الموسيقى - I"؛

يَبْدُو أَنَّ الصَّخْرَةَ ، صَخْرَهُ حَيِّي تَاهَتْ / فِي صَحْرَاءِ عُرُوقِي / هَلْ أَسْأَلُ: مَنْ يَتَدَخَّرُ فِيهَا أَوْ مَنْ يَصْعَدُ؟ لَكِنْ / مَا سَأَكُونُ / وَمَا سَتَكُونُ السَّاعَةُ حِينَ يَجِيءُ الحُبُّ / إِلَيَّ قَتِيلاً / فِي شِكْلِ مِهَاءٍ ضَاقَتْ حَتَّى الصَّحْرَاءِ عَلَيْهَا؛

نلاحظ أيضاً أنّ الشاعر اعتمد التشخيص الاستعاري، باعتماده على أدوات الطبيعة الصامتة، منها؛ الصخرة والصحراء في تصوير فقدان الحبّ بكلّ ما ينطوي عليه من مرارة ومعاناة، ليسترجع من خلالها فضاءً مفعماً بالرومانسية؛ فيحاول التركيز على عمق ارتباط الغرام بالفضاء الزمني؛ إذ سيتوقف الزمن عن الحركة في اللحظة التي يموت الحبّ في حياته "وَمَا سَتَكُونُ السَّاعَةُ حِينَ يَجِيءُ الحُبُّ / إِلَيَّ قَتِيلاً / فِي شِكْلِ مِهَاءٍ ضَاقَتْ حَتَّى الصَّحْرَاءِ عَلَيْهَا" وأمّا حركة المكان أسهمت في تبين حبه الضائع وما يهيمن على ذاته

١ - صلاح، دلالة المكان في الشعر البيئي المعاصر من منظور القراءة والتأويل، ص ١٩١.

- أدونيس، الأعمال الشعرية، مج ١، ص ٤١٩. ^٢

٣- الضاوي، كاركرد سنت در شعر معاصر عرب، ص ٦٢.

- أدونيس، الأعمال الشعرية، مج ٦، ص ٢٦٨. ^٤

من المعاناة والألم؛ إذ يقرّ الشاعر مستلهماً من أسطورة سيزيف أنّ حركة صخرة الحبّ تكون عبثاً وتنتهي بالفشل في الصعود وانحدارها، "يَبْدُو أَنَّ الصَّخْرَةَ، صَخْرَةُ حُبِّي تَاهَتْ / فِي صَحْرَاءِ عُرُوقِي / هَلْ أَسْأَلُ: مَنْ يَتَدَخَّرُ فِيهَا أَوْ مَنْ يَصْعَدُ؟" ولا يستسلم الشاعر أمام الركود في حياته؛ فيأبى بالاستفهامات دون أن يطلب لها الإجابة؛ ويؤكد أن الشاعر مازال يبحث عن الحب الجديد والتعنى بجماله والقدرة على تغيير هذا الواقع نحو الأفضل. الصورة الاستعارية التشخيصية للجسد تؤدي الدور ذاته في تبني صورة الحياة المتحركة في المكان في قصيدة "كيمياء النرجس"؛

خَلَفَ المَرَايا / حَسَدٌ يَفْتَحُ الطَّرِيقَ / لأقاليمه الجديدة / جَسَدٌ يَبْدَأُ الحُرِيقَ / فِي ركامِ العُصُورِ / ماحياً
بِحَمَّةِ الطَّرِيقِ / يَبِينُ إيقاعه والقصيدَةُ / عابراً آخرَ الجُسُورِ^١

يوحي الجسد بدلالة الطبيعة التي تعتمد الحركة والطغيان بكل حيويته، فالجسد يفتح الطريق التي أفضت إلى التغيير والتحول في التراث وتنتهي إلى استجلاء حلمه في كشف العوالم الجديدة في السكون الزمني، فيرفض ضوء العالم بنور التراث محتفلاً بالحديث والجسد بحركته التي كان مطارداً فيها بحريق السكوت الزمني المتراكم؛ يحلم بالمستقبل الذي يكشف نهاية العالم الجديد. قد كان الشاعر يكسر صمت العصور وجمودها بالنار في الأرض والسماء وكل ما يواجهه في الفضاء في قصيدة "الحضور"؛

أَفْتَحُ باباً عَلَى الأرض، أَشْعَلُ نارَ الحُضُورِ / فِي الغُيُومِ التي تَتَعَاكَسُ أَوْ تَتَوَالى / فِي المُحِيطِ وَأَمواجهِ
العَاشِقَةِ / فِي الجِبَالِ وَغاباتها، فِي الصُّخُورِ / خالِقاً ليليّ الحُبالي / وَطناً مِنْ رَمادِ الجُذُورِ / مِنْ حُقُولِ
الأغاني، مِنْ الرِّعْدِ والصَّاعِقَةِ / حارقاً مُومِياً العُصُورِ^٢

النص هذا، يحضن الحركة بين الأعلى والأسفل؛ يفتح الشاعر باباً في الأرض، هي المكان الواسع الذي يجري فيها كل الأمور ويريد الفرج والإنشراح فيها، ثم يبحث عن نار في السماء، من الرعد والبرق، ثم يصف الغيوم بالتكثيف والتراكم لتبيين الحركة الواسعة، كما يوسع ثغور هذه الحركة؛ إذ تتجاوز الحركة من الغيوم إلى المحيط والجبال والغابات والصخور؛ ويستحضر الشاعر أسطورة الفينيق بطريقة غير مباشرة ويطلب خلق الوطن لليالي من رماد النار المشتعلة، لما تمنح الليالي من دلالات متنوعة من خوف وتأمل

١ - المصدر نفسه، مج ٢، ص ٣٧٧.

٢ - المصدر نفسه، مج ١، ص ٢٨٩.

وهو الوقت الذي يناسب الخيال ويوافق تطلعات الشاعر من أجل التحرر من الظروف السيئة السائدة آنذاك، فالنار وهيمنتها تترواح بين كونها باعثة للإضاءة وبين كونها باعثة للانبعاث والتجدد في جمود العصور.

زَمَنْ يَتَأَكَلُ وَيَجْدُودِبْ، مَا أَشَقَى الْإِنْسَانَ الَّذِي لَا يَرَى أَمَامَهُ، كَلَّمَا تَقَدَّمَ، إِلَّا الْقَلَمُ^١

في قصيدة "نتبأ أيها الأعمى" يرسم الشاعر المنظر الذي يتوقف فيه الزمان في الماضي لبيّن تسلسل الظروف السيئة التي حلّت بموطنه، وزعم الانتقال والحركة المكانية "لا يَرَى أَمَامَهُ، كَلَّمَا تَقَدَّمَ"، فيبين رتابة الجمود الذي يعمّ كلّ شيء ومصاحبة الناس لشعور الأزمة الدائم، وإلى جانب هذا، فهو يحثّ على كسر الزمن التكراري وتحطيمه رافضاً الموقف المأساوي من خلال الصورة الشعرية وتجلياتها، إذ إنّ نمط الحياة في المجتمع العربي يسير برتابة وعلى وتيرة واحدة ولا يتطلّع الناس إلى الخلاص من الأنظمة القمعية، كما لا يحاول الناس التحرّر من القيود الدينية.

٣. سكون المكان والزمان

إنّ شعوراً بثقل حركة الزمن والمكان يتردّد أحياناً في التجربة الشعرية عند الشاعر، إذ نرى ظاهرة اجترار الزمن وانعدام حركته. «إنّ الزمن الشعري لا يسير وفق أنساق الزمن الموضوعي المحددة...»^٢ كما يمكن أن يوحي المكان عند الشاعر بالجمود لتبيين غاية التأزم التي يعيش فيها الشاعر. وهو يستعمل ظاهرة سكون المكان والزمان في قصيدة "المدينة" انطلاقاً من تجربة شعرية تجسّد الواقع المرير الذي يعيشه موطنه؛

لِلدُّخَانِ إِحْنَتٌ لِلدُّخَانِ / هِيَ عَوَامَةُ الرِّيحِ / وَجْهَهَا ضَفْدَعٌ وَهِيَ إِصْبَعَانُ / لَنْ تَمَسَّ قُرُونَ الرِّبْعِ / لَنْ
تُحَسَّ بِنَهْرِ الصَّبَاحِ / إِنَّهَا بَرَكَةُ الْقَطِيعِ / وَجْهَهَا وَاحِدٌ وَهِيَ سَرْتَانُ^٣

الدخان رمز الثقافة المادية في المدينة والذي يعتمد الشاعر في تبينه على أسلوب وصف تضاف إليها قدرة تحطيمية؛ فتتمثّل بأنها هي عوامة الرياح التي تحوّل ذاك المكان من الحالة الطبيعية إلى الحالة الحيوانية دائماً؛ إذ تتحرّك عوامة الرياح دائماً وتتجمّد العصور "لَنْ تَمَسَّ قُرُونَ الرِّبْعِ"؛ ولا يأمل أن يثير رياح التغيير

- المصدر نفسه، مج ٦، ص ١٨٩. ^١

٢ - صلاح، دلالة المكان في الشعر اليمني المعاصر من منظور القراءة والتأويل، ص ٢١٠.

- أدونيس، الأعمال الشعرية، مج ١، ص ٣٥٣. ^٣

نحو الأفضل المأمول في المستقبل، فيرمز الشاعر من خلال هذا المنظر السوداوي إلى الحقبة الزمانية الصعبة التي تسود موطنه؛ إذ التحولات المأساوية في المدينة تحيل إلى أسباب الحزن والرعب، والشاعر يسترجع هذه الحظات في مكان محدد ولا يتجاوز حدود الواقع الوطني في سياق السكوت المكاني "لَنْ تُحْسِنَ بِنَهْرِ الصَّبَاحِ" ليوضح لنا عمق المأساة والمرارة وشعوره بالخيبة.

في النص التالي من قصيدة "النبوءة" يرفض الشاعر الحضارة العربية في المنظر الشعري الذي كان يقوم على الثبات والسكون المكاني والزمني؛ فيرسم إبادة التراث الماضي وما يوحي دلالة بالتخلف كشيخ الرمل والجرادة ويلغي الممارسات الدينية السابقة، إذ لاحت بشارة الشاعر عن مجيء الشمس التي لا ترتبط بالدين،

لِلوَطَنِ الْمَحْفُورِ فِي حَيَاتِنَا كَالْقَبْرِ / لِلوَطَنِ الْمُخَدَّرِ الْمُقْتُولِ / بَجِيءٍ مِنْ سُبَاتِنَا الْأَلْفِي، مِنْ تَارِيخِنَا
الْمَشْلُوبِ / نَمْسُ بِلا عِبَادَةٍ / تَقْتُلُ شَيْخَ الرَّمْلِ وَالْجِرَادَةَ^١

فالشاعر يريد استئصال ما يمت إلى الحضارة القديمة للعرب بالإضافة إلى احتفائه برؤية متقدمة في الحضارة العربية؛ فيرى أنّ التغيير يبدأ بإعادة قراءة الحضارة العربية، وإعادة فهمها من جديد، فقد عاش المجتمع العربي سلسلة طويلة من الجمود وانعدام القيم؛

الدُّرُوبُ أَقْدَامٌ لَا تَعْرِفُ غَيْرَ السَّلَاسِلِ وَالزُّمُنِ سَاقَانِ / مَشْلُولَتَانِ^٢

المكان هنا يتسم بضيق مستمرّ ونأي عن دواعي الفرح والسرور؛ فالشاعر في القصيدة "شرق بلا شرق" يتحدث عن دور التاريخ الذي يتوقف ولا يمكن افتتاح دروب جديدة للتغيير والحركة، فالناس ضحية تمارس عليهم كل ضروب القمع والإبادة طوال العصور حتى ينتهي مصيرهم إلى الإخفاق، وخبية الأمل، والسقوط في عالم اليأس والقنوط.

يكشف الشاعر في قصيدة "ورقة بلا رقم" عن ثقل المكان وانكساره وقربه من الموت في سياق الجمود الزمني في رؤيته تشاؤمية لهذا الكون؛ الأَرْضُ نَائِمَةٌ عَلَى أَنْقَاضِهَا / وَالوَقْتُ يُوعِلُ فِي السُّبَاتِ / لِمَ لَا أَرَى
غَيْرَ الْقُرَاتِ؟^٣

١ - المصدر نفسه، مج ٢، ص ٣٩٨.

٢ - أدونيس، الكتاب III، ص ٣٧٠.

الألفاظ الدالة على الأنقاض والسكون، السبات، ونائمة، تشتت كلها في الإيحاء بقلق الشاعر وإحساسه العميق بمأساة الواقع المعيش الذي يفوح بالسكوت والموت، مما يجعل أن يثير الشاعر في المتلقي مشاعر الحركة والتحرك في تعبيره "لم لا أرى عَيْرَ الْفُرَاتِ" للخلاص من أزمة الواقع التي يعاني فيها الانسان حالة السكون والثبات.

٤. سكون المكان و حركة الزمان

رغم أنّ حركة الزمان والمكان عناصر متلازمة في العالم الخارجي إلا أن المكان يمكن أحياناً أن يكون ثابتاً في وعي الشاعر؛ ففي الصور الشعرية «ليس بالضرورة أن تتناغم حركة المكان والزمان تناغماً كلياً، أو أن تتطابق في الرؤية والصورة تطابقاً تاماً...»^٢. وعندما نعلم النظر في الصور الفيزيائية التي يأتي بها أدونيس، نلاحظ أنّ الشاعر قد ارتكز أحياناً على سكون المكان وحركة الزمان؛

«شَجَرٌ يُشْمِرُ التَّحَوُّلَ وَالْهَجْرَةَ فِي الضَّوِّ جَالِسٌ فِي فِلَسْطِينَ وَأَعْصَانُهُ نَوَافِدُ / أَصْعَيْنَا لِأَبْعَادِهِ قَرَأْنَا مَعَهُ
بِحَمَّةِ الْأَسَاطِيرِ / جُنْدٌ وَقَضَاءٌ يُدْحِرُجُونَ عِظَاماً وَرُؤُوساً، وَأَمْنُونَ كَمَا يَزْقُدُ / حُلْمٌ يُهَجِّرُونَ إِلَى التَّيِّهِ،
يُجْرُونَ إِلَى التَّيِّهِ... / كَيْفَ تَبْدَأُ؟»^٣

الشاعر في قطعة "مقدمة لتاريخ ملوك الطوائف" الشعرية، يستند إلى رمز شجرة التحول والهجرة عبر الزمن من الماضي إلى المستقبل، في هذه الصورة يتخلّى الوقت عن مفهومه النجمي والطبيعي، ليتحوّل إلى كائن حي يقصد الإشارة إلى المستقبل، ونلاحظ الحركة الزمانية في لوحته هذه، فنجمة الأساطير والشجر، تكشف عن الحركة والتحول الذي ينتظره الشاعر في المستقبل أمام سكونية المكان (فلسطين) وظلامها. وفي موضع آخر ينشد أدونيس؛

يَتَكِيءُ السَّجْرُ عَلَى قَمَلَتَيْنِ / إِحْدَاهُمَا حُبْلَى وَتِلْكَ الَّتِي مَاتَتْ^٤

١ - أدونيس، الكتاب II، ص ٣٠١.

٢ . صلاح، دلالة المكان في الشعر اليميني المعاصر من منظور القراءة والتأويل، ص ١٩٢.

٣ - أدونيس، الأعمال الشعرية، مج ٢، ص ٤٢١.

٤ - ساعي، حركة الشعر العربي الحديث من خلال اعلامه في سورية، ص ١٤٩.

٥ - أدونيس، الأعمال الشعرية، مج ١، ص ١١٠.

وظّف الشاعر كلمة السحن وارتكازه على قملتين لتوصيف الدنيا وتجسيد مرارة الحياة ودوام هذه الظروف التي تحيط بالشاعر والذي يبين أنّ الدنيا تتكئ على قملتين لتتضح دورة الحياة ومضي الزمان، والموت الذي يترّص بالناس؛ إذ تتولّد فئة من الناس كلّ يوم، كما تموت الفئة الأخرى يوماً وكنتى الشاعر عن الناس بالقملة، ليوضّح لنا شدة نغمته على الأضرار التي يُحدثها الناس في العالم. ويعكس الشاعر في النص التالي من قصيدة "مرثية الأيام الحاضرة" اليأس والركود و التمرد؛

اللَّيْلُ يَتَخَثَّرُ وَفَوْقَ جُثَّتِ الْعَصَافِيرِ تَدْبُ طُفُولَةُ النَّهَارِ^١

العصافير تعدّ رمزاً للجمود بدل الحيوية والحركة؛ إذ تضاف جثث إلى العصافير والتعبير "جثث العصافير" يوحي بالانكسار الذي انتهت إليه الظروف الراهنة، في سياق تحوّل الأمل إلى يأس واستسلام في الفضاء المغطى بالسكون واللاحركية "فَوْقَ جُثَّتِ الْعَصَافِيرِ" يدبّ الزمان. كما أنّ عبارة "طفولة النهار" توحى بتباطئ حركة الزمن على نحو أعمق ومؤثر؛ بالإضافة إلى ذلك اقتران الليل في النص المذكور بالفعل "يتخثر" يؤكد الظلام والخيبة إزاء التغيير والثورة في واقع المجتمع العربي.

يمكن ملاحظة أن الشاعر، يعاني أحيانا من القلق الوجودي الذي يتحرّك الزمان نحوه؛ أي حقيقة الموت التي ينزعج منها الشاعر؛ لِمَنْ يَفْتَحُ الْفَجْرُ شَبَاكَ عَيْنِي / يَحْفَرُ فَوْقَ ضُلُوعِي طَرِيقَهُ / لِمَ الْمَوْتُ يَنْبِضُ مِلءَ كِيَانِي / وَيَرْبِطُ عُمْرِي بِحَفَقِ الثَّوَانِي؟ / عَرَفْتُ؛ دَمِي رَحِمَ لِلزَّمَانِ / وَفِي شَفَتِي مَخَاضُ الْحَقِيقَةِ^٢ في قصيدة "المخاض" يتغطى الفضاء بالجمود والركود بعد دورة الحياة في تعبيره "لِمَ الْمَوْتُ يَنْبِضُ مِلءَ كِيَانِي"؛ وجسد الشاعر يصبح إطاراً جغرافياً يعطي شعوراً بالسكون والجمود؛ إذ يرى الشاعر أن الموت يعمّ كل وجوده كما يمكننا القول إن الزمان يتوقّف عن الحركة؛ إذ يدرك الشاعر أن الموت يلاحقه، وأن عامل الزمن يطارده ولا بدّ أن يناله، فإنّ الموت نهاية الحياة والشاعر يدّعي أنّه صادق في كلامه إذ يأتي بالتعبير "فِي شَفَتِي مَخَاضُ الْحَقِيقَةِ"؛ فيظهر الشاعر هنا عجزه عن سطوة الزمان وبثّ مشاعره المضطربة وإبانة الحسرة التي سيطرت على نفسه لإختتام دورة الحياة. إنّ الشاعر أحيانا يفقد ثقته بالتراث الماضي؛

هُوَ ذَا أَرَسِمُ شَكْلَ السَّحْرِ الطُّغْلِ عَلَى كَفِّ / الزَّمَانِ / قَارِئاً صَمَتَ الْمَكَانِ^١

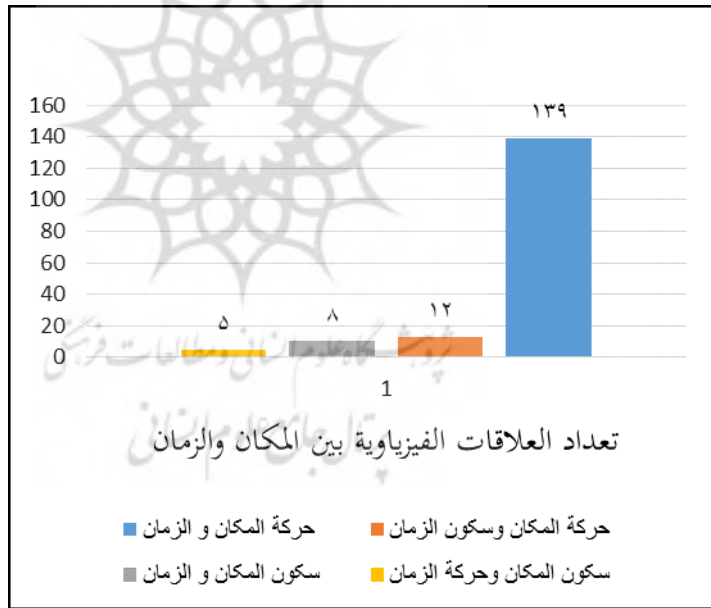
١ - المصدر نفسه، ص ٢٢١.

٢ - المصدر نفسه، ص ٦٩.

استولى على ذات الشاعر اليأس ولم يعد ينظر إلى أفق الماضي بتفاؤل وأمل نتيجة التدهور والتجمد الذي أصيب به المواطن العربي بعامة، ويتجلى موقفه الفكري «في عدم الولاء للماضي، بل التوجه إلى المستقبل»^٢، فيرسم الزمان بصورة طفل؛ لأنه يرفض الماضي والعصور الخوالي، عندئذ يتجه تدريجياً إلى معالم الحلم المستقبل في سكون الفضاء؛ فقد ظل يطمح من وراء التحول وتحقيق أمل الخلاص في المستقبل، فتكتسب صورة الطفل دورها الفاعل في رؤية التاريخ، والتعبير عن مصير المواطن العربي عند أدونيس.

الدراسة الاحصائية

المخطط البياني الآتي يبيّن تدرّج العلاقات الفيزيائية بين المكان والزمان في شعر أدونيس:



- أدونيس، الكتاب "I"، ص ١١١. ١

- بجاوي، شعر أدونيس "البنية والدلالة"، ص ٥٨. ٢

تعتبر "حركة المكان والزمان" أكثر وروداً؛ إذ وردت مائة وتسع وثلاثين مرة، وبعدها تجيء علاقة "حركة المكان وسكون الزمان" إثنتي عشرة مرة، أما "سكون المكان والزمان" فيقع ثمانى مرات، وعلاقة "سكون المكان وحركة الزمان" تجيء في المرتبة الأخيرة وقد تكررت خمس مرات.

ما يثير الانتباه هو غلبة الحركة المكانية والزمانية على سائر العلاقات الفيزيائية بين المكان والزمان في السياق الشعري عند أدونيس واختيار هذه العلاقة في الموقع الأول يكون طلباً للحرية بشكلٍ حديد؛ «فهو يبحث عن النور في المستقبل وأبوابه مغلقة عليه وعلى الناس كلهم. سفره من نوع غريب عبر القصائد وأناشيدها يتخطى الزمان والمكان ويحطم الحواجز والحدود ويستقر في أودية من الحلم»^١. فالشاعر يتمسك بالحب ليتجاوز الموقف الثابت والمراوحة من الإطار المكاني المحدد إلى فضاء أرحب والصعود إلى اللازمان واللامكان. والنقطة الأخرى التي يمكن استنتاجها هي أن الشاعر كثيراً ما يلجأ إلى الأسطورة في ترسيم صوره الحركية بعد أن عانى الجمود وهدفه في توظيف الأسطورة «هو النزعة إلى التغيير»^٢ وأدونيس هو الشاعر الذي حاول الدخول إلى شعاب التاريخ وابداعه، رفضاً للحاضر ومحاولاً الإحاطة بالمستقبل؛ فأدونيس «يخلق العالم المستقبلي المبني على التجديد»^٣.

راح الشاعر يوظف الصور التي تعبر تلقائياً من مشاعر التحرك ورفض الجمود؛ فرؤية الشاعر للشعر هي «الرؤية التي تتبنى الحركية في كل شيء وترفض قيم الثبات»^٤ وأحياناً يمنح الشاعر الحركة والتجول في إطار الزمن والفضاء بأبعادهما الواسعة موحياً بموقفه الوثني في رفض عالم الآخرة واتصال السماء والعالم الغيبي بالأرض؛ لأن الشاعر يرى «أنهم لا يعيشون الحياة على الأرض بقدر ما يؤجلونها إلى الآخرة. وبذلك تصبح الممارسة الدينية (وليس الدين بحد ذاته) أفيوناً للفقراء بينون بوساطته الفراديس الخيالية»^٥. تجلّى السكون الزماني والحركة المكانية في آثاره مرات؛ فالشاعر يكتفي أحياناً بالإطار الزمني المعتمد على الأفعال الدالة على الزمن الماضي. ورغم ما للزمان في الواقع من جمود وسكون، فإنّ الشاعر لا

١- سيهرى نيا، الاتجاه الصوفي في شعر أدونيس وسهراب سبهرى، ص ١١٦.

٢- روشنفكر وآخرون، أنوثة الأسطورة في شعر أدونيس، ص ١٩٢.

٣- بجاوي، شعر أدونيس "البنية والدلالة"، ص ٦١.

٤- بجاوي، من القصيدة إلى الكتابة، ص ٣٠٤.

٥- نعوم طنوس، السؤال الديني في شعر أدونيس، ص ١٥١.

يتوقف عن كشف العوالم الجديدة «إنه ينام لكي يعرف ويكتشف، ولكي ينام لا يحتاج إلى مكان بل يحتاج إلى طريق...»^١ وموقف الشاعر من الحب الضائع، وما يعطيه من حزن وألم، يسبب أن يمثل له الزمان كاللحظات المفعمة بالموت، حيث يتوقف فيها الزمان عن الحركة؛ فيحسن المتلقي بخفقات قلب الشاعر وأزماته الانفعالية عند وصف شعوره بفقدان الحب والجمود الزمني؛ فهو في حالة مضطربة يرسم أحاسيسه الوجدانية عند فقدان الحب بالتركيز على البعد الزمني ويسترجع اللحظات التي قد مرّت عليه ببطء؛ لأنه يجد الخلاص والأمل في الحب ويكشف به المجهولات، معتقداً أنّ الحياة تنبعث من هذا الحب؛ والحب هو «مفتاح للوصول إلى الحياة الخالدة الباقية...»^٢. صور الجمود الزمني والمكاني تأتي في المرتبة الثالثة وكلها تشهد على رتبة يتنفسها الشاعر مع الأيام وموطنه؛ فيستدعي الشاعر من خلالها الانطلاق نحو الفضاء الحيوي للطبيعة والحياة متطلعاً إلى تغيير العالم، ورفض الحياة المقيّدة بالضيق والجمود. وقد وظّف الشاعر الحركة الزمانية والسكون المكاني في المرتبة الأخيرة، محاولاً من خلالها كسر الزمن الخطي والنجمي بفعل التداخيات الحرة في حركة الزمن واستشرافاته في الفضاء الذي يتّسم بالسكون والثبات والفراغ؛ «ليس للزمن وجود ذاتي عند أدونيس، وإنما هو مجال وساحة لدينامية الإنسان. إنّ أدونيس لا يبحث عن زمن ضائع وإنما يلاحق زمناً لم يولد بعد»^٣، كما يستخدم صوراً رائعة لحركة الزمان وسكون المكان ليوضح أحياناً عبثية الحياة ومحدودية الزمن النجمي كي يكون شاهداً على أنّ الموت يقضي على كل الأشياء في دورة الزمان وبمأى المكان بالمشاهد الجامدة في سكونيته وقد يئس الشاعر من حالة الركود والدمار التي عاش فيها التراث الماضي العربي؛ وفي عدّة أطوار من حياته الشعرية تكون علاقة الشاعر «مع الماضي متصلة بمبدأي الرفض والتحول المتلازمين»^٤، فهو يحاول تجسيد الصور بطريقة أكثر حيوية ويشحنها بشعور عميق بإمكانية الخلاص في المستقبل ويبعث فيها روح التطلع والأمل، فيعانق المستقبل تمشياً مع ذاته التي ترفض الجمود.

١- هنداوي، دراسة السريالية في شعر أدونيس، ص ٦٧.

٢- أحمدى، محمد رضا وآخرون، جماليات توظيف المرأة والحب في القصيدة الأدونيسية بين النظرتين الصوفية والسوريالية، ٢٠.

٣- عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص ٨٢.

٤. المصدر نفسه، ص ١١٧.

الخاتمة

١. قدّم الشاعر تجربة شعرية ناضجة وعميقة من العلاقات الفيزيائية بين المكان والزمان في شعره مستجيباً لحالاته الشعورية وأحاسيسه الذاتية ولقد أجاد في توظيف العلاقات الفيزيائية بين المكان والزمان في شعره بأشكالها المختلفة، معبراً من خلالها عن همومه الشخصية والوطنية بأسلوب جميل، ومنها: حركة المكان والزمان، حركة المكان وسكون الزمان، سكون المكان والزمان، سكون المكان وحركة الزمان.

٢. يلاحظ التفوق الواضح للحركة المكانية والزمانية في شعر أدونيس؛ إذ يبيّن الشاعر من وراء الحركة الزمانية والمكانية رغبته في العالم الرؤيوي؛ حيث تطمئن ذاته القلقة إلى ما تحلم به مستعينا بالحب، فتعيش روحه خارج الفضاء الزمني والمكاني المألوف؛ لأنّ الحب عند الشاعر يستطيع أن يحطّم قيود العالم المحددة بالتسلسل الزمني والإطار المكاني، فيداهم الشاعر الحاضر ويستدعى المستقبل كمنقذ يخلصه من عالم مؤلم. ويظل الشاعر متفائلاً بمسقبل الخلاص متخذاً الحركة الزمانية والمكانية إطاراً متضمناً رفض عالم الآخرة وطرحه محتفلاً بحياة الأرض، كما يريد بهذه الصور تبين موقفه حول الشعر؛ فوظف صوراً تميل إلى العمق لإيصال موقفه الفكري الذي يتلخّص في أن الشعر رفض الثبات والجمود. ومحدودية الزمان النجمي تقود الشاعر إلى عدّ الحياة زائفة، ولزوم اكتشاف العالم الجديد والغلبة على سلطة الزمن الموضوعي في سلسلة من الصور الحركة المكانية والزمانية كما يبيّن من ورائهما ما يستجيب لحالته الانفعالية حينما يئس من عصره ومجتمعه؛ إذ يريد الشاعر الخروج من الفضاء المشحون بالجمود والسكون إلى الجو الذي يسود فيه التفاضل والأمل، ما يستطيع بهما اختراق واقعه المأساوي متطلعا إلى التجدد والخلق والانتصار.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية

الكتب

١. أدونيس، علي أحمد سعيد، الأعمال الشعرية الكاملة، مج ٨-١، ط ١، بيروت، لبنان: دار الساقى، ٢٠١٢.
٢.، الثابت والمتحول: بحث في الابداع والاتباع عند العرب، ج ١، ط ١، بيروت: دار العودة، ١٩٨٣م.
٣.، الكتاب "أمس المكان الآن III و II و I"، ط ١، بيروت، لبنان: دار الساقى، ٢٠٠٢.
٤. فهرس أعمال الريح، بيروت: دار النهار، ١٩٩٨.
٥. جنداري، ابراهيم، الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا، ط ١، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠١.
٦. ساعي، احمد بسام، حركة الشعر العربي الحديث من خلال اعلامه في سورية، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٦م.
٧. صلاح، عبدالله زيد، دلالة المكان في الشعر اليمني المعاصر من منظور القراءة والتأويل، ط ١، عمان: دار مجد لاوي، ٢٠١٤م.
٨. عباس، إحسان، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٨م.
٩. فاولي، والاس، عصر السريالية، المترجم: خالدة سعيد، دمشق: دار التكوين، ٢٠١١م.
١٠. نعم طتوس، جان، السؤال الديني في شعر أدونيس، بيروت-لبنان: دار النهضة العربية، ٢٠١٢،
١١. هشام محمد، عبدالله، التجربة الشعرية العربية دراسة استمولوجية للسيرة الذاتية لشعراء الحديثة، ط ١، عمان: دار مجد لاوي للنشر والتوزيع، ٢٠١٤.
١٢. يحياوي، راوية، شعر أدونيس "البنية والدلالة"، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٨،

١٣.....، من القصيدة إلى الكتابة؛ تحولات النص الشعري في الكتاب لأدونيس، ط ١، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠١٥.

المراجع الفارسية

١٤. رزنيك رابرت وآخرون، فيزيك. المترجم: پاشايي راد، جلال الدين وآخرون، ط ١، طهران، مركز نشر دانشگاهي، ١٣٨١.

١٥. ضاوي، احمد عرفات، كاركرد سنت در شعر معاصر عرب (بدر شاكر السياب، خليل حاوي، نازك الملائكة، عبد الوهاب البياتي، أدونيس، صلاح عبد الصبور)، المترجم: حسين سيدى، مشهد: دانشگاه فردوسی مشهد، ١٣٨٤.

١٦. عرب، عباس، أدونيس در عرصه شعر ونقد معاصر عرب، ط ١، مشهد، دانشگاه فردوسی، ١٣٨٣ش.

الرسائل الجامعية

١٧. سپهرى نيا، محمد صديق، الاتجاه الصوفي في شعر أدونيس وسهراب سپهرى، جامعة العلامة الطباطبائي، كلية الآداب الفارسية واللغات الأجنبية، قسم اللغة العربية وآدابها، ١٣٩٠.

١٨. هنداوي، ولاء، دراسة السريالية في شعر أدونيس، طهران، جامعة الخوارزمي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، ١٣٩٣.

١٩. أبو علي، رجاء، الرمز والأسطورة في شعر أدونيس، جامعة العلامة الطباطبائي، كلية الآداب الفارسية واللغات الأجنبية، قسم اللغة العربية وآدابها، ١٣٨٦.

المقالات

٢٠. روشنفكر وآخرون، أنوثة الأسطورة في شعر أدونيس، مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة ١٣، العدد ٢، ١٤٣٨، صص ٢٠٥-١٨٥.

٢١. الشرع، امل عبد الجبار كريم وكاظم شنباره، ايناس، الفضاء الزمكاني في القرية عند الشعراء الرواد، مجلة جامعة بابل، العلوم الانسانية، المجلد ٢٢، العدد ٦، ٢٠١٤، ١٦٩٦-١٦٨٣،

٢٢. صدام، وجدان صادق ، قصي ياسين، معتز، مستويات بناء الزمن في شعر بشار بن برد، مجلة دراسات البصرة، السنة التاسعة، العدد ١٧، ٢٠١٤، ٣٠١-٢٦٣
٢٣. طالي قره قشلاقي، جمال، تجليات المكان، أبعاده ودلالاته في شعر "نزار قباني"، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد ٣٨، نيسان ٢٠١٨م، ٤٥٣-٤٤١.
٢٤. طاهر، أمل حسن، الزمن النفسي في مقدمات المعلقات العشر، مجلة الآداب، جامعة واسط، كلية الآداب، العدد ١١٠، ٢٠١٤م، ٥٤٨-٥٢٩
٢٥. أحمدى، محمد رضا وآخرون، جماليات توظيف المرأة والحب في القصيدة الأدونيسية بين النظرتين الصوفية والسورالية (تحولات العاشق نموذجاً)، مجلة اللسان المبين، السنة ٩، العدد ٣١، ١٣٩٧، صص ٢٣-١.



روابط فیزیکی بین مکان و زمان در شعر آدونیس

خدیجه هاشمی*، حامد صدقی**، صغری فلاحتی*** و زهره ناعمی****

چکیده:

شاعران در آثار ادبی شان، به عنصر مکان و زمان و روابط فیزیکی بین آن‌ها بیشتر تکیه می‌کنند و حوادث و وقایع در زمان و مکان در ساختار حرکتی یا سکون اتفاق می‌افتد. روابط فیزیکی بین مکان و زمان در شعر آدونیس در تبیین احساسات برگرفته از گرایش انقلابی و احساسی شاعر سهم مؤثری داشته؛ در حالی که دارای اصول زیبایی شناختی به همراه دلالت‌های نفسی و رمزی در برابر حوادث عصر و جامعه اش می‌باشد.

پژوهش حاضر در پی آن است که به نحوه ی نمود روابط فیزیکی مکان و زمان در ساختار شعری آدونیس و دلالت‌هایش بر اساس روش روان شناسی بپردازد، در حالی که تلاش دارد که آن را به عواطف شاعر و احساساتش نسبت داده، و بر انواع نمونه‌های شعری روابط فیزیکی بین مکان و زمان و ارزش‌های نمود آن ودلالات‌هایش در تصاویر شعری استشهد بورزد. روش کار در این مقاله، توصیفی و تحلیلی - آماری و روانشناختی است.

در تصاویر فیزیکی شعر، رغبت شاعر در به کارگیری حرکت مکان و زمان در متن شعریش بیشتر مورد توجه است؛ زیرا که حرکت مکانی و زمانی با دیدگاه انقلابی او برای تغییر و تحقق رؤیایش در ساختن آینده درخشان ودنیای جدید هماهنگی دارد و حرکت مکانی و زمانی بیانگر گرایش الحادی شاعر می‌باشد؛ هم‌چنانکه شاعر با به کارگیری این نوع حرکت نظرش را در مورد شعر ابراز می‌کند؛ زیرا که او معتقد است، شعر پویایی و حرکت و انکار سکوت و جمود می‌باشد و شاعر برای ترسیم عشق از دست رفته، از تصویر شعری سکون زمان و حرکت مکان کمک می‌گیرد، و شاعر برای برانگیختن گرایش انقلابی و ایجاد فضای زنده و تجدد و حیات به صورت مؤثر بر تصاویر شعری سکون مکانی و زمانی تکیه می‌کند و تصاویر حرکت زمانی و سکون مکانی در شعر او نشان از بهبودگی هستی و شکستن زمان خطی و غلبه بر سلطه ی زمان در سکوت فضا می‌باشد.

کلیدواژه‌ها: شعر معاصر عربی، فیزیک، مکان، زمان، آدونیس.

*-دانشجوی دکتری گروه زبان وادبیات عربی، دانشگاه خوارزمی، تهران.(نویسنده‌مسئول) khadijehashemi1365@gmail.com

** - استاد گروه زبان وادبیات عربی، دانشگاه خوارزمی، تهران، ایران.

*** - دانشیار گروه زبان وادبیات عربی، دانشگاه خوارزمی، تهران، ایران.

**** - استادیار گروه زبان وادبیات عربی، دانشگاه خوارزمی، تهران، ایران.

Physical Relationships between Place and Time in Adonis' Poem

khadije Hashemi* , Ph.D. Student, kharazmi university Tehran, Iran.

Hamed Sedghi, Professor, kharazmi university Tehran, Iran.

Soghra Falahati, Associate Professor, kharazmi university Tehran, Iran.

Zohreh Naemi, Assistant Professor, kharazmi university Tehran, Iran.

Abstract:

In their literary works, poets rely more on the element of place and time and the physical relationships between them and events and incidents occur in time and place in dynamic or static structure. The physical relationships between place and time in Adonis' poetry have played an important role in explaining emotions derived from the poet's sentimental and revolutionary tendencies; while enjoying aesthetic principles along with literal and figurative implications against the events of his age and society. The present study seeks to explore physical relationships between place and time in Adonis' poetic structure and its implications based on psychology while attempting to attribute it to the poet's emotions and feelings, and to adduce a variety of poetic examples of the physical relationships between place and time and the values of its manifestation and implications in poetic images. A descriptive, analytical-statistical and psychological method is used in this article. In the physical images of poetry, the poet's relish in applying the motion of place and time in his poetic context is more emphasized because spatial and temporal motion are in harmony with his Revolutionary perspective of changing and fulfilling his dream of planning for the future brilliant and a new world, and spatial and temporal motion reflect the atheist tendency of the poet, as the poet expresses his opinion about poetry by using this kind of movement; since he believes in poetry as dynamism, movement and denial of silence and solidity and he draws on the poetic image of time and place movement to depict the lost love. As the poet relies on poetic imagery of place and time to effectively stimulate the revolutionary tendency and create a living space and revitalizing life, the images of temporal motion and place in his poetry indicate the futility of being,

* - Corresponding Author.

Email: khadijehashemi1365@gmail.com

breaking the linear time and overcoming the domination of time in the silence of space.

Keywords: Contemporary Arabic Poetry, Physics, Place, Time, Adonis .

The Sources and References:

1. Abbas, Ihsan , **Trends in Contemporary Arabic Poetry**, Al-Kuwait: Home Assembly for Culture and Techniques, 1988.
2. Abo ali raja. **mystery and myth in Adonis poetry**. Allameh Tabatabai University, Faculty of Persian Literature and Foreign Languages, Department of Arabic Literature, 1390
3. Ahmad. Arafat, **The Function of Tradition in Contemporary Arab Poetry** (Badr Shakir Al-Sayyab, Khalil Hawi, Nazak al- Malaika, Abdul Wahhab al-Bayati, Adonis, Salah Abdul Sabour). Translated by: Seyyadi.hosen. Mashhad: Ferdowsi University of Mashhad,1384.
4. Ahmadi, mahammad reza & others, **the beauties of the use of woman and love in Adonis ballade between two theories sufi and serialist**(the beauties of lover as a sample) , Clear language journal, Year 9 , N. 31.1397. pp.1-23.
5. Ali.Ahmad. saed. **Constant and Variable: A Discussion on Invention and Imitation** ,Vol.1, No, 1 , Beirut: Dar al-Uday,1983.
6. Ali.Ahmad. saed. **The Book (Al-Kitab): Past of the Present Place**,Vol, 1_3, Beirut-Lebanon: Dar al-Saqi,2002.
7. Ali.Ahmad. saed. **Works of Poetry** ,Vols.1-8 ,No,1,Beirut-Lebanon: Dar al-Saqi, 2012.
8. Ali.Ahmad. saed.**List of Works of Wind, Beirut:** Dar al-Anahar 1998.
9. Al-Shara'i, Amal Abdollah Jabbar karem& Kazem Shabareh,Vineas. **Space and Time in the Village with the Pioneer Poets**. Journal of Humanities, Babol University. Vol. 22, No. 6,2014, pp. 1683-1696.
- 10.Arab, Abbas, **Adonis in Contemporary Arab Poetry and Criticism**. No, 1, Mashhad: Ferdowsi University,1383.
- 11.Fawley, Walas ,**The Surrealist Era** ,Translated by: Khaleda Saeed. Damascus: Dar al-Tekin ,2011.
- 12.Hendavi, Wela, **Surrealist Survey (Trans-Realism) in Adonis' Poetry**, Tehran, Kharazmi University, Faculty of Literature and Humanities, Department of Arabic Language and Literature,1393.
- 13.Hisham Mohammad. Abdollah ,**The Arabic Poetry Experience Investigating the Aesthetic Life of Contemporary Poets. Oman:** Dar Al-Majeed Lovey for Publishing and Distribution. No, 1,2014.

14. Jundari, Ebrahim, **Narrative Space with Jabra Ibrahim Jabra**, No, 1, Baghdad: The Director of Public Cultural Affairs, 2001
15. Noam Tannous Jan, **The Religious Question in Adonis' Poetry**. Beirut-Lebanon: Dar al-Nahda al-Arabi, 2012.
16. Resnick Rabert. **et al**, **Physics**. Translated by: Pashaie Rad J. et al. No, 1. Tehran: Academic Publishing Center, 1381
17. Roshanfeker and others. **the female myth in in Adonis Poetry**. journal of Arabic language and literature, year 12, N.2, Summer 1348
18. Saddam, Vejdani Sadeg & Gese Yassin, Momtaz, **Surfaces of the Structure of Time in the Poetry of Bashar al- Bard**. **Journal of Basra Studies**. Vol. 9, No. 17, 2014, pp. 263- 301.
19. Saeh, Ahmad. Bassam, **The Movement of Contemporary Arabic Poetry Among its Beloved in Syria**, Damascus: Dar al-Fekr, 2006.
20. Salah, Abdollah. Zeyd, **Implications of Place in Contemporary Yemeni Poetry in Reading and Interpretation**. No, 1, Oman: Dar Al-Majeed Lovey, 2014.
21. Sepehri Nia, Mohammad. Sedigh, **Sufi Tendency in Adonis and Sepehri's Poetry**. Allameh Tabatabai University, Faculty of Persian Literature and Foreign Languages, Department of Arabic Literature, 1390.
22. Taher, Amal. Hasan, **Internal Time in the Preparation of Mu'allaqat**, Al-Adab Journal, Wasit University, Al-Adab Faculty. No. 110, pp. 529- 548.
23. Talebi Ghare Gheshlaghi, Jamal, **Location Symbols, Its Dimensions and Implications in Nizar Ghobani's Poetry**, Journal of the Faculty of Humanities, Babol University. No. 38, 2018, pp. 441- 453.
24. Yahyawei, Raveh. **Adonis' poem: Structure and Implication**. Damascus: Charter of the Union of Arab Writers, 2018.
25. Yahyawei, Raveh. **From Ode to Writing: Poetry Text Developments in Adonis' "Al-Kitab"**, No, 1, Al-Cairo: A Perspective for Publishing and Distribution 2015.